تأريخ موجز للدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو من انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى سقوط الحقبة الاشتراكية

A Brief History of Arabic and Islamic Studies at the University of Warsaw from the End of World War II to the Fall of the Socialist Era

د. مارتشين غرودزكي [1]

Marcin Grodzki (PhD)

الملخص

يسعى هذا البحث الأكاديمي الموجز إلى إبراز دور الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو بعد الحرب العالمية الثانية وتسليط الضوء على تأريخها، مع إيلاء أهمية خاصة لأهم مراحل ومحطات التطور في نشاط وعمل هذه المؤسسة التعليمية البولندية العريقة. يعد قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو حاليا أكبر مركز جامعي بحثي وتعليمي في مجال الحضارة والثقافة واللغة العربية والعلوم الإسلامية وأهمها تأثيرا على المجتمع البولندي في مجال كسب المعرفة عن الشرق الأوسط. وقبل المضي قدما في الحديث عن فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولاستعراض الخلفية التاريخية، يتطرق المقال بصورة مختصرة إلى فترة ما قبل الحربين العالميتين الأولى والثانية، والتي مهدت الطريق للدراسات العربية المستقبلية في بولندا.

الكلمات المفتاحية: الدراسات العربية والإسلامية، الاستشراق، جامعة وارسو، جامعة ياغيلونسكي، العلاقات الثقافية العربية–الإسلامية

١– جامعة وارسو– قسم الدراسات العربية والإسلامية كلية الاستشراق – بولندا

Abstract

The history of Arab-Islamic studies in Poland dates back to the early 19th century when the first major centre for the oriental studies was established in Vilnius university. The university was closed in 1832 due to the repressive measures taken by the Russian Caesar against the Poles and Lithuanians at that time. Between World Wars I and II, three prominent centres were set up for the Middle Eastern studies in Lviv (currently located in Ukraine), Krakov, and Warsaw.These academic traditions paved the way for the modern Arab-Islamic studies in Poland. In 1919, Professor Tadyosh Kovaliski established the first institute for the Islamic studies – Faculty of the Oriental Languages Philology in Yagyloniski University. The Institute of Oriental Studies - Warsaw University in which Department of Arabic and Islamic studies was established later, to be the largest research centre for the Arabic and Islamic studies in Poland, was set up in 1932, i.e. between the world war I and II. In it, Arabic studies developed upon the arrival of professor Yousif Bilaviski in Warsaw – a graduate of Yagyloniski, who was a student of the Founding Father of the Polish Arabic studies.

Keywords: Arab-Islamic studies, Oriental studies, University of Warsaw, Jagiellonian University, Arab-Islamic cultural relations

المقدمة

يعود تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في بولندا إلى بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، عندما أُنشئ مركز كبير للدراسات الشرقية في جامعة فيلنيوس أولا، إلا أن هذه الجامعة أُغلقت في عام ١٨٣٢ نتيجةً للإجراءات القمعية التي اتخذها نظام القيصر الروسي بحق البولنديين والليتوانيين آنذاك. وبين الحربين العالميتين الأولى والثانية، أُنشئت ثلاثة مراكز قوية أخرى لدراسات الشرق الأوسط: في مدينة لفوف (حاليا في دولة أوكرانيا)، وكراكوف، ووارسو. وقد مهدت هذه التقاليد الأكاديمية الطريق للدراسات العربية والإسلامية الحديثة في بولندا الحديثة. في عام ١٩١٩، أسس البروفيسور تاديوش كوفالسكي أول معهد في بولندا يُعنى بالدراسات الإسلامية –كلية فقه اللغات الشرقية في جامعة ياغيلونسكي. أمّا معهد الدراسات الشرقية في جامعة وارسو، والذي أنشئ فيه في وقت لاحق قسم الدراسات العربية والإسلامية ليصبح أكبر مركز للأبحاث في مجال الدراسات العربية والإسلامية في بولندا، فتأسس عام ١٩٣٢، أي ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية. وتطورت الدراسات العربية فيه بعد وصول البروفسور يوزيف بيلافسكي إلى وارسو – خريج جامعة ياجيلونسكي، الذي كان طالبا "للوالد المؤسس" للدراسات العربية البولندية – البروفيسور تاديوش كوفالسكي (جامعة ياجيلونسكي) .[٢]

[2] - http://arabistyka.uw.edu.pl/historia ، http://orient.uw.edu.pl/o-wydziale

وقد قسم البحث الى فصلين. الفصل الأول فقد شمل السياق التاريخ ، وقد حتى الحروب التي شنت على بولندا ، والتي كانت عاملا مهما في دخول علم الاستشراق في مؤسستها التعليمية.والفصل الثاني قد اكمل ما جاء بالفصل الذي سبقة حيث المقدمات التي ساعدت على نشوء قسم خاص ومستقل للدراسات العربية والإسلامية. والذي من خلاله كان الوجه الحقيق للدراسات العربية المستقلة. والذي من خلاله كان الوجه الحقيق للدراسات العربية المستقلة. وقد واجه الباحث بعض الصعوبات في الحصول على المصادر وذلك للتغيرات السياسة التي حصلت في بولندا والدول العربية.

ونأمل ان يضيف هذا البحث بعض المعلومات الأساسية في العلاقة الثقافية بين الشعبين ، وباكورة عمل مشترك بينهما لوضع أسس صحيحة للتعامل والتوافق العلمي.

الفصل الأول

السياق التأريخي :

قبيل الحرب العالمية الثانية، التي اندلعت في سبتمبر ١٩٣٩ مع اجتياح كل من ألمانيا النازية على بولندا من الغرب وروسيا البولشيفية من الشرق، كانت هناك أربعة مراكز حكومية علمانية للدراسات الشرقية في جمهورية بولندا – وهي حسب الترتيب الأبجدي: في كراكوف، ولفوف (حاليا في أوكرانيا)، ووارسو، وفيلنيوس (حاليا في ليتوانيا)، كانت تقدم دورات وتخصصات مختلفة. وبما أن البحث في هذه الفترة يتجاوز نطاق هذا المقال، فإننا لا ندرج هنا سوى عدد قليل من المعلومات التمهيدية حول بدايات الدراسات الشرقية البولندية في فترة ما بين الحربين العالميتين، مع التركيز على توضيح السياق التاريخي لتطورها بعد الحرب.

من حيث التنظيم، فإن الدراسات الشرقية في وارسو أحدث سنًا من تلك الموجودة في كراكوف – تم إنشاء المعهد الشرقي في وارسو، كما ذُكر، فقط في عام ١٩٣٢. وبينما كان "الروح الطيبة" في كراكوف هو البروفيسور تاديوش كوفالسكي (منذ عام ١٩٣٣ شغل منصب أستاذ كامل، وأصبح منذ يونيو ١٩٣٩ أمينًا عامًا للاتحاد البولندي للدراسات الشرقية، ومنذ عام ١٩٤٧ رئيسًا الجمعية الشرقية البولندية)، بينما بالنسبة لوارسو قبل الحرب وفروتسواف ووارسو بعد الحرب فكان العقل المدبر هو البروفيسور أنانياش زايوتشكوفسكي[٣].

---

[٣] – معظم المعلومات التفصيلية في المقالة مقتبسة من المصادر التالية في تأريخ الاستعراب البولندي: ماريك م. دزيكان، *الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو بعد عام ١٩٤٥*، *مجلة الدراسات العربية والإسلامية (الجزء الأول)*، عدد ٦، ١٩٩٨، ص. ١٧٦–١٨٣. ماريك م. دزيكان، *الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو بعد عام ١٩٤٥*، *مجلة الدراسات العربية والإسلامية (الجزء الثاني)*، عدد ٧، ١٩٩٩، ص. ١١٤–١٢٥. زبيغنيف لاندوفسكي، *الدراسات العربية في جمهورية بولندا الشعبية (١٩٤٥–١٩٩٠) النشوء والتأريخ والتحديث*، دار إيبيستيمي للنشر، لوبلين ٢٠٢١. زبيغنيف لاندوفسكي، *المستعربون في بولندا (١٩٤٥–١٩٩٠)*، دار إيبيستيمي للنشر، لوبلين ٢٠٢٣.

بعد افتتاح معهد الدراسات الشرقية بجامعة وارسو عام ١٩٣٢، تولى منصب المدير الأول فيه ستانيسلاف شاير، وكان مقره الأول قصر ستاشيتش في مكرز المدينة، وتضمن أقساما علمية حول الدراسات المصرية والهندية والصينية والتركية. وقد شمل هذا الاختصاص الأخير (الدراسات التركية) في الوقت نفسه الأدب واللغة العربية والفارسية أيضا. وفي العام الدراسي ١٩٣٣/١٩٣٤م دخل المعهد أول طلبة وبدأوا دراستهم في الحلقات الدراسية المذكورة. وقد تم إنشاء معهد الدراسات التركية في وارسو إلى حد كبير بفضل جهود البروفيسور أنانياش زايوتشكوفسكي، وهو متخصص متعدد المواهب في قضايا الشرق الأوسط، والذي عمل كعالم الدراسات التركية والعربية والإيرانية في آن واحد. ثم أُنشئت مكتبة معهد الدراسات الشرقية واحتوت في عام ١٩٣٦ على ١٢٠٠ كتاب من مختلف الاختصاصات. في نهاية ثلاثينيات القرن العشرين، لم يكن مطلوبًا من المرشحين للدراسة اجتياز امتحانات القبول ي الجامعة — فإن قبولهم تم فقط على أساس شهادات المدرسة الثانوية والدرجات التي حصلوا عليها. استغرقت الدراسة ١١ فصلاً دراسياً، أي أربع سنوات، ونال الخريجون درجة الماجستير. خلال الدراسة، استمرت الفصول الدراسية مع محاضري اللغات الشرقية لمدة ثلاثة فصول دراسية، على سبيل المثال: كانت دروس اللغة التركية تتألف من ٤ ساعات في الأسبوع (في العام الدراسي ١٩٣٨/١٩٣٩ كان يقوم بإدارتها موسى كاظم صبري). كما كان المحاضر الثاني (يدعى أ. خربي) يعمل مدرسا للغة العربية بالتناوب في كل من جامعة يان كازيميرز في لفوف (حاليا أوكرانيا) وجامعة وارسو في الأعوام ١٩٣٠–١٩٣٨. بالإضافة إلى ذلك، فإن الكليات اللاهوتية لكلتا الجامعتين أقامت دروسا متوازية في الحضارة الإسلامية واللغات الشرقية الأخرى (الحية منها والميتة). في العام الدراسي ١٩٣٨/١٩٣٩، أقيمت محاضرات في الدراسات الشرقية في كلية العلوم الإنسانية بجامعة يوزيف بيلسودسكي في وارسو (هكذا سُميت جامعة وارسو آنذاك) لطلابها في مبنى المعهد الشرقي (الذي ضم أيضًا مكتبته) في شارع كرولوفسكي وسط وارسو. وقد شملت أيضا دروسًا في العلوم الهندية والعلوم الصينية ولغات الشرق القديم.

تبعات الحرب ونشوء الاستشراق الحديث في بولندا

وقد أدت الحرب في بولندا (١٩٣٩–١٩٤٥) إلى دمار مادي شامل تقريبا للبنية التحتية للبلاد بأكمله وخسائر بشرية واسعة النطاق (لقى مصرعه ما يقارب ٦ ملايين بولندي) مما أدى إلى فقدان القدرة على استعادة الموارد والكوادر البشرية الجامعية من قبل الحرب، الأمر الذي تسبب في، من بين مشاكل أخرى، إحداث فجوة فعلية ونوعية بين الأجيال من المستشرقين والباحثين الجامعيين في مجال الشرق الأوسط. وقد قُصفت ونُهبت وفُجرت وأُحرقت المباني والمرافق والممتلكات الجامعية بشكل ممنهج وكامل تقريبا من قبل العدوين الألماني والروسي، وثم، بعد انتهاء الأعمال الحربية وانتفاضة وارسو الدامية، قام البولنديون على حسابهم وبجهودهم فقط بجمع واسترجاع وشراء ما تبقى من الكتب والوسائل التعليمية ببطء وتدريج

وإعادتها إلى الجامعة التي تم إعادة إعمار مبانيها واحدا بواحد لعقود طويلة من الزمن، على غرار وارسو كلها. في نهاية عام ١٩٤٥، كانت كليتا الاستشراق بجامعة وارسو وجامعة ياجيلونسكي توظفان ما مجموعه سبعة باحثين فقط نجوا من طواحين الحرب وغطرستها: بروفسوران، ودكتوران، وثلاثة مساعدين. في الفترة الأولى كانوا يعملون في مبان ومرافق جامعية شبه مدمرة، ومجردة – في كثير من الأحيان — حتى من النوافذ والأبواب، بدون مجار وصرف صحي أو وسائط التدفئة شتاء.

وحلت نقطة التحول الكبيرة في مسار الدراسات الشرقية في جامعة وارسو عام ١٩٥٨، حيث بدأ العمل في قسم الدراسات التركية يوزيف بيلافسكي. قبل ذلك الوقت، لم يكن تخصص الدراسات العربية إلا جزءا من المجالات العلمية الأخرى ذات الصلة — مثل الحضارة واللغة التركية أو الدراسات الإيرانية. ولكن بفضل جهود يوزيف بيلافسكي، تم في عام ١٩٦٤ إنشاء وحدة جامعية مستقلة جديدة داخل معهد الدراسات الشرقية سُميت من ذلك الحين بشعبة الدراسات العربية، ونتيجة لذلك اكتسبت الدراسات العربية وجودًا مستقلاً.

في عام ١٩٦٦، كان معهد الدراسات الشرقية بجامعة وارسو هو المؤسسة البحثية والتدريسية الوحيدة في بولندا التي كانت تغطي مجمل الدراسات الشرقية بأكملها، وكانت آفاق تطويره تحدد تنمية الدراسات الشرقية البولندية بشكل عام، لأن المؤسسات التعليمية الأخرى – قسم فقه اللغة الشرقية بجامعة ياجيلونسكي في كراكوف ومعهد الدراسات الشرقية التابع للأكاديمية البولندية للعلوم في وارسو – كان لها طابع بحثي وتدريسي مختلف: لم يكن معهد الدراسات الشرقية التابع للأكاديمية البولندية للعلوم مؤسسة تعليمية وتعامل بشكل أساسي مع الأبحاث التركية، بينما غطى قسم فقه اللغة الشرقية بجامعة ياجيلونسكي باهتماماته وتدريسه منطقة الشرق الأوسط فقط. على الرغم من أن مكتبات معهد الدراسات الشرقية بجامعة وارسو كانت تضم ٥٥ ألف مجلد في ذلك الوقت، إلا أنه يجب الاعتراف بأن مجموعات الكتب هذه كانت عشوائية إلى حد كبير.

فيما يخص خطة مجالات البحث الأكاديمي (حتى عام ١٩٨٠) فكان يشمل، بين أمور أخرى، الموضوعات العلمية التالية:

١. اللغة العربية الفصحى، والمعجمية العربية، واللهجات العربية؛
٢. الأدب العربي الكلاسيكي والمعاصر والنظرية الأدبية؛
٣. الفلسفة العربية الإسلامية؛
٤. الفولكلور والموسيقى العربية؛
٥. الاتجاهات الاجتماعية والدينية في العالم العربي المعاصر.

في الأول من أبريل ١٩٦٩، ونتيجة للاضطرابات السياسية في بولندا، تم تغيير اسم الوحدة إلى قسم الدراسات العربية والإسلامية. بالإضافة إلى ذلك، تم السماح بتوسيع نطاق البحث ليشمل الدراسات الإسلامية بالذات. ثم، في عام ١٩٧٣، وبسبب بعض المشاكل التنظيمية في الموظفين، تم دمج الدراسات العربية بصفة مؤقتة ضمن قسم الشرق الأوسط وأفريقيا، والذي كان يرأسه أيضًا البروفيسور يوزيف بيلافسكي. ومن الجدير بالذكر أن قسم الدراسات العربية كان أكبر وحدة تنظيمية في جامعة وارسو في ذلك الوقت.

في عام ١٩٧٥، تم إنشاء كلية اللغات الحديثة، ودخل معهد الدراسات الشرقية في تكوينها وأصبح أكبر وحدة تنظيمية من وحداتها، وفيه العدد الأكبر من الأقسام، وعدد كبير من الكوادر العلمية والبحثية، إلى جانب مئات الطلبة. وقد أشار هذا التباين في الهيكل إلى تزايد الصراعات داخل الكلية الجديدة. أمّا في المعهد نفسه، فتم دمج الوحدات الأصغر في ثلاث أقسام أكبر حجما. وتم حل القسم الرابع فيه – قسم القضايا الآسيوية المعاصرة في عام ١٩٨١. بعد هذه الإصلاحات الإدارية، أصبح معهد الدراسات الشرقية يضم ١١ تخصصًا: فقه اللغة الهندية، والدراسات الأفريقية، والدراسات العربية والإسلامية، والدراسات المصرية، وفقه لغات الشرق الأدنى القديم، والدراسات الإيرانية، والدراسات اليابانية، والدراسات المنغولية، والدراسات السامية، والدراسات الصينية، والدراسات التركية. وشمل قسم الشرق الأوسط وأفريقيا برئاسة البروفيسور يوزيف بيلافسكي الدراسات العربية والإسلامية، والدراسات التركية، والدراسات الإيرانية، فضلاً عن الدراسات الأفريقية، والدراسات الإثيوبية، والدراسات العبرية، والتي أصبحت شُعبا داخلة في تكوين القسم.

الفصل الثاني: نشوء قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو

في عام ١٩٧٧، تم من جديد تغيير اسم شعبة الشرق الأوسط وأفريقيا إلى شعبة الشرق الأوسط والمغرب العربي، وذلك لأن المتخصصين في الأمور الأفريقية تمكنوا من إنشاء شعبة خاصة بهم للغات والثقافات الأفريقية. في الأول من مارس عام ١٩٧٩، ونتيجة للقرار السياسي الذي اتخذه مجلس عمداء كلية فقه اللغات الأجنبية في جامعة وارسو، تم لأسباب سياسية عزل البروفيسور يوزيف بيلافسكي من منصب كرئيس لشعبة الشرق الأوسط والمغرب العربي (وذلك رغم حصوله في نفس السنة على العضوية في الأكاديمية الوطنية العراقية للعلوم[٤])، وحل محله لفترة وجيزة بروفسور الدراسات السامية فيتولد تايلوخ. في

[٤] – ثم، بعد تغيير إدارة الجامعة، تم إلغاء هذا القرار الإداري، موضحا في بيان صادر عن الجامعة أنه كان "قرارا خاطئا وغير مبرر له". تُعد أهمية ودور البروفيسور بيلافسكي في تطوير الدراسات العربية والإسلامية في بولندا بعد الحرب العالمية الثانية بالغ الأهمية، بل وحاسمًا. وقد جعل البروفيسور مجال الإسلام وقضايا الفلسفة العربية أحد المواضيع الرئيسية لدراساته ومنشوراته. وتشمل قائمة منشوراته العلمية عدد ٢٢٧ كتابا ومقالة وبحثا عليما نُشرت بين أعوام ١٩٥٠ و١٩٨٤.

العام الدراسي ١٩٨٠/١٩٨١، أصبح رئيسةً لشعبة الدراسات العربية البروفيسورة كريستينا سكارزينسكا-بوخينسكا، أول خريجة لدراسات ماجستير لدى يوزيف بيلافسكي، كما تم القرار بالعودة إلى الاسم السابق للشعبة وهو شعبة الدراسات العربية والإسلامية. وبعد ذلك، لسنوات طويلة، شغل البروفيسور يانوش دانيتسكي منصب رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية لمدة ٢٥ عامًا، ومنذ عام ٢٠٠٦ أصبحت ترأسه البروفيسورة كاتارزينا باخنياك. في ٢٣ يناير ٢٠٠٨، تم تحويل معهد الدراسات الشرقية إلى كلية الدراسات الشرقية، وفي ٢٤ فبراير ٢٠٠٩، بموجب قرار مجلس جامعة وارسو، تم تغيير اسم شعبة الدراسات العربية والإسلامية إلى قسم الدراسات العربية والإسلامية، وهو حاليًا من أكبر ثلاث وحدات علمية في جامعة وارسو.

كانت الحقبة من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٩ فترة نشاط علمي متزايد لموظفي معهد الدراسات الشرقية، والذي كان يعمل به في عام ١٩٨٠ حوالي ٧٠ باحثًا ودرس فيه ما يقرب من ٣٥٠ طالبًا. وكما ذكرنا، منذ عام ١٩٨١، تولى الدكتور يانوش دانيتسكي (والذي نال درجة دكتوراه الدولة عام ١٩٨٢، والأستاذية عام ١٩٨٩) منصب رئيس لشعبة الدراسات العربية والإسلامية لربع من القرن. ولكن في بداية الثمانينيات، تأثرت الحياة الجامعية باضطرابات سياسية وعسكرية عميقة شملت كافة أنحاء البلاد والقطاعات والمجالات، وبالتدريج غرقت الحياة الجامعية، وحياة البلاد بأكملها، في حالة من الفوضى السياسية والاقتصادية؛ وفي الخريف لعام ١٩٨١ اندلعت إضرابات طلابية، والتي انتهت قبيل فرض الأحكام العرفية في ١٣ ديسمبر ١٩٨١، مما جمد العمل الجامعي والتدريسي تقريبا.

وبعد عودة الأمور السياسية إلى الهدوء النسبي، في عام ١٩٨٦، كان معهد الدراسات الشرقية في جامعة وارسو يتألف من خمس شُعب: فقه لغات الشرق القديم، وشعبة الدراسات المصرية، والدراسات العبرية، والدراسات العربية والإسلامية، ودراسات الشرق الأوسط والشرق الأقصى، واللغات والثقافات الأفريقية. تم تدريس أكثر من ٢٠ لغة من آسيا وأفريقيا. وكان يعمل بالمعهد ٨٠ موظفًا للبحث والتدريس ودرس فيه حوالي ٣٠٠ طالب. هذا، وقد شهدت شعبة الدراسات العربية والإسلامية تطوراً هائلا خلال العقود القليلة الماضية، حيث ارتفع عدد الطلاب فيها عدة مرات – من خريج واحد أو اثنين سنويا في أوائل الستينيات إلى أكثر من عشرين خريجا سنويا في الثمانينيات والتسعينيات.

منذ بداية استقلاله التنظيمي والإداري (كقسم)، نجح قسم الدراسات العربية والإسلامية في وارسو في توظيف العديد من المحاضرين العرب الأصليين في نفس فترات التوظيف الزمنية كان معظمهم من سوريا ومصر والعراق، وعادة ما كانوا يقدمون دروسًا بالفصول الدراسية للطلاب الدارسين في كل سنوات الدراسة، الأمر الذي أصبح طريقة مخططة من قيادة القسم "لتعريف" الطلبة باللهجات وطرق النطق المختلفة

للغة العربية. وبما أن الدراسات الأفريقية أصبحت تخصصًا مستقلا منفصلاً داخل معهد الدراسات الشرقية بجامعة وارسو (بعد إنشاء قسم الدراسات الأفريقية)، وليست تخصصًا ضمن الدراسات العربية من ناحية التركيب الإداري، فإن منهج الدراسات العربية لم يتضمن اللغات الأفريقية، ولكن، من ناحية أخرى، تم تدريس اللغة العربية في قسم الدراسات الأفريقية كلغة إضافية وكانت تجرى فيه بعض الأبحاث العلمية في مجال الإسلام في القارة الأفريقية.

الوجه الحديث للدراسات العربية في وارسو

منذ عام ١٩٩٣، ينشر قسم الدراسات العربية والإسلامية مجلة الأكاديمية باللغات الأجنبية تحت عنوان "دراسات العربية والإسلامية" (تم نشر ١٤ عددًا حتى الآن)، وفي عام ٢٠١١ بدأ رئيس تحرير المجلة البروفيسور يانوش دانيتسكي ومديرة قسم الدراسات العربية والإسلامية البروفيسورة كاتارزينا باخنياك العمل على سلسلة جديدة تحت عنوان "منشورات الدراسات العربية والإسلامية" والتي تنشر أعمالا أصلية في مجال الدراسات العربية والإسلامية.

من الجدير بالذكر أن مقر قسم الدراسات العربية والإسلامية يقع وارسو عاصمة بولندا الإدارية والسياسية، والتي تتمحور فيها وحولها جميع أهم دوائر الدولة ومؤسساتها والوزارات الحكومية المركزية وسفارات الدول العربية والإسلامية، فكان خريجو القسم من المستعربين والمستشرقين وكأنهم من ذوي الامتياز الخاص حيث كانوا يقدون خدماتهم لمختلف الجهات والأطراف من الترجمات والاستشارات والخدمات التجارية في شتى المجالات باعتبارهم همزة الوصل بين الدولة البولندية وبلاد الشرق، مما سمح لهم كذلك بإقامة علاقات شخصية مباشرة مع شخصيات بارزة في الحياة السياسية والاقتصادية والدبلوماسية في ذلك الوقت، الأمر الذي سهل بدوره مختلف الإجراءات خاصة في أيام الحقبة الاشتراكية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: تسهيل الحصول على المنح الدراسية للموظفين والطلبة في الشرق الأوسط، وإسراع إجراءات توظيف الطلاب أثناء إقامتهم في الدول العربية في البعثات الدبلوماسية البولندية (وذلك في مناصب مختلفة، منها كمترجمين أو منسقين أو مساعدين). كما سهل ذلك شراء الكتب ومواد التدريس من مكتبة المطبوعات المستوردة الموجودة في ذلك الوقت في قصر الثقافة والعلوم وسط وارسو. وكان موظفو القسم والطلاب يشاركون في كثير من الأحيان في حفلات الاستقبال الدبلوماسية والأمسيات التي نظمتها سفارات الدول العربية بمناسبة الأعياد الوطنية والزيارات الرسمية وغيرها من المناسبات الهامة، كما تمت استضافة كبار المسؤولين من الدولة والبعثات الدبلوماسية في جامعة وارسو للمشاركة في الندوات والفعاليات والمؤتمرات والمهرجانات، وحتى كانوا غالبًا ما يتعاونون في تنظيمها. إنه أمر أصبح دافعاً إضافياً قوياً لتطوير العلاقات بين الموظفين والطلبة، والأهم من ذلك، بين الجامعة ونظيراتها في الدول العربية. ومع التطور السريع للدراسات العربية في وارسو

في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، كانت منشورات القسم وأعماله الأدبية والعلمية والترويجية، بما في ذلك الترجمات، ذات سمعة و أهمية كبيرة.

خلال الفترة من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين، خرّج قسم الدراسات العربية والإسلامية مئات من الخريجين الأكفاء (أصحاب دبلوم اللسانس والماجستير والدكتوراه)، وواصل الكثير منهم العمل في مهنتهم كمستعربين ومستشرقين داخل البلاد وخارجه. وكانت تُنشر في وارسو مجلتان دوريتان في مجال العالم العربي والإسلامي – "المجلة السنوية للدراسات الشرقية" و"مجلة استعراض الشرق"، وكانت كلتاهما في معظم ذلك الوقت تحت إشراف الهيئة المختصة في الأكاديمية البولندية للعلوم. حتى سقوط جمهورية بولندا الشعبية، أصبح خريجو قسم الدراسات العربية والإسلامية في وارسو هم من العناصر المهيمنة العاملة في مختلف وسائل الإعلام (مثلا في هيئة التحرير بالقسم العربي في الإذاعة البولندية الرسمية، والعديد من الصحف والجرائد وأقسام العلاقات العامة والتلفزيون البولندي والشركات التجارية، بما في ذلك مجلة "الصداقة" الليبية والبولندية) وفي قطاع الترجمات الأدبية (حيث أن وارسو احتضنت معظم أكبر دور النشر في بولندا)، وجعل كل ذلك من جامعة وارسو بشكل عام ومن كلية الاستشراق بشكل خاص على المستوى العلمي والاجتماعي المركز الأكثر ديناميكية وحماسا للدراسات العربية في بولندا.

يبلغ عدد مجموعة المستعربين ذوي الخبرة العملية في بولندا اليوم نحو ١٠٠٠–١٥٠٠ شخص، على الرغم من أن معظمهم لم يعودوا نشطين مهنيا لأسباب عديدة (بما في ذلك السن، واختيار العمل في مهن أخرى، وانعدام الاتصال باللغة لفترة طويلة، وما إلى ذلك). خلال الفترة قيد الدراسة في هذا البحث، تراوح عدد المستعربين من بضعة أشخاص (في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين) إلى حوالي ١٠٠٠ شخص (في الثمانينيات والتسعينيات وبدايات القرن الحادي والعشرين). ووصل عدد الخريجين إلى ذروته في أواخر السبعينيات والثمانينيات، ثم بدأت مجموعاتهم في الانخفاض، لكن هذا الهبوط شمل بشكل رئيسي الفترة التالية من التاريخ البولندي بعد سقوط الاشتراكية. وقد تجاوزت أكبر دفعة من خريجي الدراسات العربية في جامعة وارسو حاجز بضعة وعشرين خريجاً في عام دراسي واحد. إننا نقدم هنا أرقامًا تقريبية فقط، لأسباب سأشرحها لاحقًا. وكان المستعربون بكل التأكيد يشكلون نخبة ثابتة من المتخصصين ذوي المؤهلات العالية والفريدة، ولذلك، على الرغم من قلة عددهم في نطاق المجتمع بأكمله (ويبلغ تعداد الشعب البولندي نحو ٣٨ مليون نسمة)، فقد لعبوا دائما دورًا مهمًا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للبلاد.

من الناحية التأريخية، كان مسار التاريخ العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، في عهد جمهورية بولندا الشعبية ـ مترابطا بشكل وثيق بمسألة إنهاء الاستعمار وفك الاستقطاب الجيوسياسي للعالم، مما ساهم خلال

حقبة جمهورية بولندا الشعبية، بين أسباب أخرى، في رعاية الدولة البولندية للتطوير السريع للدراسات العربية في بولندا. إن عملية إنهاء الاستعمار السريعة، التي بدأت في عام ١٩٦٠ من قبل الأمم المتحدة، شملت العديد من الدول الاستعمارية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وكانت أغلب هذه الدول من البلاد الأفريقية والآسيوية، وقد ساهم الاهتمام السياسي بها من جانب دول الكتلة الاشتراكية في ترسيخ الدراسات العربية في جمهورية بولندا الشعبية كتخصص مستقل وحقل من العلوم الشرقية. تم إنشاء أقساما ومعاهد، وتم استحداث الوظائف، وزيادة حصص القبول.

اللغة العربية ليست فقط واحدة من اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة واللغة الخامسة الأكثر انتشارا في العالم: بل يتحدث بها ما يقرب من ٤٠٠ مليون شخص ويفهمها إلى حد كبير (على الأقل من الناحية الدينية) أكثر من مليار شخص. إنها اللغة الأولى في ٢٣ دولة تمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي ومن البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الهندي. علاوة على ذلك، فإن العالم الناطق باللغة العربية، وكذلك العالم الإسلامي الأوسع، هم أسرع الشعوب نمواً من حيث الديموغرافيا. ومن ثم، كان من مصلحة جمهورية بولندا الشعبية بشكل واضح تثقيف مجموعة اجتماعية كبيرة قادرة ليس فقط على الترجمة من وإلى اللغة العربية، بل وفهم الثقافة، وإقامة الاتصالات والتعاون مع ممثلي العالم العربي والإسلامي. وكان إتقان القدرة على فهم هذا الجزء غير المستقر من العالم والتواصل معه بشكل فعال يهدف أيضًا إلى ضمان الأمن في الاتصالات الدولية وكان في المصلحة الاقتصادية والسياسية الواضحة لجمهورية بولندا الشعبية والبلدان الأخرى في المعسكر الاشتراكي. وفي وقت لاحق، في سبعينيات وأوائل ثمانينيات القرن العشرين، سمح هذا بزيادة كبيرة في عدد طلاب الدراسات العربية، وفي الوقت نفسه قام العديد من المستعربين – الطلاب والخريجين والمحاضرين – بالتدريب والدراسات والعمل المهني الطويل الأمد في الدول العربية، مما أدى في الواقع إلى تغيير كبير في صورة الدراسات الجامعية.

ولذلك حظيت الدراسات العربية في بولندا — إلى حد ما — بأولويات وحتى امتيازات، على سبيل المثال: كان بإمكان المستعربين أن يتعاونوا (مقابل أجور بعملات صعبة معفاة من الضرائب) مع المجلة الوحيدة في بولندا التي كانت تنشرها دولة أخرى (ليبيا)، وهي مجلة "الصداقة". علاوة على ذلك، هناك بطبيعة الحال قيمة علمية ومعرفية وفكرية متأصلة في تعلم اللغة العربية، وهي تلعب دورًا في تشكيل الثقافة والتوعية الاجتماعية، الأمر الذي شكل ليس فقط طلاب الدراسات العربية، بل أيضًا، على سبيل المثال، المشاركين في الدورات اللغوية التي كانت تنظمها جمعية الصداقة البولندية العربية. لقد أدركت السلطات البولندية في ذلك الوقت – من وجهة نظر أيديولوجية واقتصادية وسياسية – الفوائد التي يمكن أن تجلبها الاستثمارات في الدراسات العربية. وبالإضافة إلى النفوذ والهيبة، فقد ترجمت هذه الاستثمارات والإنجازات إلى دخل مالي محدد وقابل للقياس: تدفق العملة من الدول العربية، وتطور أسواق السلع التصديرية (مثل

مصانع السكر، ومصانع الأسلحة، والخدمات، والتعليم، وما إلى ذلك)، ولهذا السبب تمت زيادة حدود قبول الطلبة في الدراسات العربية. هذا المنظور الحكيم الطويل الأمد بات واضحا أمام عوين صناع القرار والباحثين حتى قبل الحرب العالمية الثانية. في عام ١٩٣٨، كتب البروفيسور تاديوش كوفالسكي: "من بين العلوم الإنسانية، فإن ما يسمى بالدراسات الشرقية [...] هو مجال يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحياة العملية واحتياجات الدولة بشكل واضح وبصفة خاصة".

على مدى ما يقرب من نصف قرن من الزمان، شهدت الدراسات العربية في بولندا بشكل عام، وفي جامعة وارسو بشكل خاص، "عصرها الذهبي": فترة من الازدهار التي انتهت مع انتهاء الحقبة الاشتراكية في التسعينيات، ولكن ظلت نتائجها الإيجابية من النشاط العلمي والتعليمي أثماره موجودة بين صفوف متعلمة ومثقفة من خريجي هذه الدراسات. لقد خرّج جميع مراكز العلوم الاستشراقية البولندية حتى الآن ما يزيد على ألف خريج من الدراسات العربية، وهم استخدموا مؤهلاتهم في مختلف مجالات الممارسة في عملهم المهني: في المؤسسات الحكومية (الجامعات والوزارات)، والشركات (مثل بوديمكس، ودرومكس، وتسيكوب، وغيرها)، والبعثات الدبلوماسية والثقافية والتجارية الأجنبية، ودور النشر والمتاحف والمكتبات، وكذلك في أواسط المترجمين المحلفين والأدبيين. في تأريخ الدراسات الشرقية البولندية ككل، كانت هذه مرحلة تاريخية خاصة أثرت على الشكل الحالي للدراسات الشرقية والمؤسسات التي تديرها، وبنيتها، ونطاق نشاطها وموظفيها، وبالتالي فإن البحث والتحليل وتوصيف الظواهر المتعلقة بنشاطها ووجودها في هذه الفترة التاريخية يشكل جزءًا مهمًا من تاريخ العلوم البولندية.

في عهد جمهورية بولندا الشعبية، كان للدراسات العربية كمؤسسة تأثير ملحوظ على تطوير الدراسات الشرقية في بولندا، وبناء الوعي الاجتماعي للبولنديين (التعددية الثقافية)، والحياة الاقتصادية للبلاد (بما في ذلك التعامل مع عقود التصدير وإبرامها)، والسياسة الخارجية للبلاد (التعاون الدولي مع الدول العربية، والدبلوماسية) وأثرت بشكل مباشر على الوضع السياسي في البلاد (بفضل الدراسات العربية حصلت السلطات على موارد مالية – على سبيل المثال ضمان ائتماني بملايين الدولارات بالعملة الأجنبية من بولندا إلى العراق – للحفاظ على النظام السياسي في البلاد خلال الأزمة الاقتصادية). وفي الوقت نفسه، كان للمستعربين (خريجي الدراسات العربية، وليس فقط أعضاء هيئة التدريس) تأثير هام على الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية ليس فقط في بولندا، بل أيضًا في بعض المناطق الأخرى في العالم، على سبيل المثال، في مجال النشاط العلمي (أصبح بعض من الخريجين محاضرين بارزين في الجامعات بالولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية). ولم يكن هذا بالطبع حكراً على المستعربين البولنديين" فحسب ـ وفي الواقع، وبالمقارنة مع المستعربين السوفييت أو الروس، كنا متأخرين كثيراً: ففي الاتحاد الروسي، كان رئيس

الاستخبارات ورئيس الوزراء والوزير ذو النفوذ الاستثنائي لفترة طويلة من الزمن، رجلاً مستعرباً ـ إيفجينييف بريماكوف. وفي بريطانيا، كان المستعربون ولا يزالون من بين السياسيين والمسؤولين الأكثر نفوذاً في مختلف الوزارات التي تشكل العلاقات الخارجية للبلاد. حتى وقت قريب، كان الأمر مشابهًا في الولايات المتحدة.. وبالعودة إلى قسم الدراسات العربية والإسلامية في كلية الاستشراق بجامعة وارسو، فهو يقدم حالياً دراسات في مختلف مجالات واختصاصات الدراسات العربية والإسلامية، ولكن إجراءات القبول فيه لا يتم إلا بشكل مركزي من قبل كلية الدراسات الشرقية، وفي الآونة الأخيرة من قبل جامعة وارسو مركزيا. ويتم قبول الطلب للدراسة سنويًا، ومنذ عام ٢٠٠٧ /٢٠٠٨ تم تقسيمها إلى دراسات المرحلة الأولى (دراسات اللسانس مدتها ٣ سنوات) والمرحلة الثانية (دراسات الماجستير مدتها سنتان). كذلك في العام التالي، وبشكل مؤقت، بدأ تسجيل قبول الطلبة للدراسات بدوام جزئي (دراسات مسائية) للمرحلة الأولى. كما يضم قسم الدراسات العربية والإسلامية أيضًا طلاب الدكتوراه الذين يجرون بحوثا أدبية ولغوية في مجال الدراسات العربية والإسلامية.

حاليا، الاتجاهات البحثية الرئيسية في قسم الدراسات العربية والإسلامية هي: الدراسات الأدبية، وتاريخ الأدب الكلاسيكي والمعاصر، ودراسات الترجمة، ودراسات فقه اللغة، ولهجات اللغة العربية، والدراسات الإسلامية، والفلسفة الإسلامية، وتأريخ الفكر السياسي الإسلامي، وثقافة الجزيرة العربية قبل الإسلام، والثقافة العربية الإسلامية الكلاسيكية، وإثنولوجيا العالم العربي، والعادات اليومية، وتأريخ ومشاكل العالم العربي السياسية، والتاريخ العرقي، وتأريخ الدراسات العربية والإسلامية، والثقافة الشعبية في العالم العربي، ومنهجية تدريس اللغة العربية.

كما يحتوي قسم الدراسات العربية والإسلامية على أكبر مكتبة عربية في بولندا. ويصدر سنويا المجلة العلمية المشهورة دوليا "الدراسات العربية والإسلامية". ومن بين موظفيه، بالإضافة إلى الأساتذة المذكورين أعلاه، تجدر الإشارة إلى البروفيسور ماريك دزيكان، والبروفسورة آنا ليفيتسكا، والبروفسور مارتشين غرودزكي، والدكتورة ماجدالينا كوباريك، والدكتورة ماجدالينا بينكر، والدكتور عبد القادر مصلح، والماجستيرة أمل الشيخة، والماجستيرة جؤانا موشياتيفيتش، والماجستير داليا نظمي. يمكن وصف الكوادر العلمية والتعليمية في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو، بعضويتهم وهيئة البحث والتدريس الحالية، على أنهم جميعهم طلاب للبروفسور يوزيف بيلافسكي وورثته في مجال الدراسات الشرقية، باعتباره الأب المؤسس للدراسات العربية والإسلامية في وارسو، التي أصبحت من ذلك الحين تُسمى "بمدرسة بيلاوفسكي".

الخاتمة

توصل البحث الى النتائج الاتية:

- يُعد قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو حاليًا أكبر مركز للدراسات التي تخص العالمين العربي والإسلامي وأكثرها تطورًا ويحتل مكانة مرموقة في بولندا، وهي الدولة التي يبلغ عدد سكانها قرابة ٣٨ مليون نسمة، ومن المتوقع أن تنضم إلى مجموعة العشرين للدول المتقدمة عام ٢٠٢٦.
- هذا ومع التطور الاقتصادي والتجاري والعلمي يزداد الطلب وبشدة على خريجي قسم الدراسات العربية والإسلامية ذوي الكفاءات والمهارات العلمية والمهنية واللغوية العملية العالية، والذين يشكلون نواة لكوادر السلك الدبلوماسي البولندي في الدول العربية والإسلامية، حيث يعملون دبلوماسيين وسياسيين وباحثين وأكاديميين ومترجمين للأدب العربي ومترجمين محلفين، وفي مناصب ووظائف مختلفة في القطاعين العام والخاص داخل البلاد وخارجها.
- وكان الهدف الاسمى لهذا هو إبراز تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في وارسو وتراثها بإيجاز، والذي لولاه لما كان لهذا القسم أن يحقق نجاحاته وإنجازاته الحالية. ومن الجدير بالذكر أن كلية الاستشراق التي يتبع لها القسم ضمن أقسام عديدة أخرى قد قامت بتغيير اسمها في أواخر عام ٢٠٢٥م – حيث كان الاستشراق يرتبط بشكل أو بآخر بمرحلة الاستعمار– إلى كلية الثقافات الآسيوية والإفريقية في محاولة للتأكيد على الطابع الثقافي والحضاري للدراسات التي يتناولها نشاط الكلية الأكاديمي بشكل عام

المصادر والمراجع:

١. زبيغنيف لاندوفسكي، "الدراسات العربية في جمهورية بولندا الشعبية (١٩٤٥-١٩٩٠)

٢. زبيغنيف لاندوفسكي، "المستعربون في بولندا (١٩٤٥-١٩٩٠)"، دار إيبيستيمي للنشر، لوبلين ٢٠٢٣.

٣. فلادسيلاق كوتفيتش، "ندوات المستشرقين البولنديين، وارسو- فيلنيوس (١٩٣١-١٩٣٢)،

٤. ماريك م. دزيكان، "الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو بعد عام ١٩٤٥"،

٥. مارية كوزلوفسكا – المؤتمر الرابع والثلاثون للمستشرقين البولنديين – الذكرى التسعون للجمعية الشرقية البولندية (١٩٢٢-٢٠٢٢م) – الجمعية الشرقية البولندية – واسو٢٠١٢

٦. مجلة الدراسات العربية والإسلامية (الجزء الأول)، عدد ٦، ١٩٩٨.

٧. مجلة الدراسات العربية والإسلامية (الجزء الثاني)، عدد ٧، ١٩٩٩.

٨. مجلة المستشرقين العدد ٥، الجمعية الشرقية البولندية، ١٩٣٤.

٩. محمد حسين و ريشارد كوروفسكي – دورة موجزة في اللغة العربية – المكتبة البولندية للغات – فييدزار بوفسيتشنا – بولندا – وارسو١٩٧٣

١٠. يان رايخمان – دراسات الشرقية في الأدب البولندي – مجموعة مقالات – معهد أوسولينسكيشالوطني – بولندا – فروتسواف ١٩٧٠

١١. النشوء والتأريخ والتحديث"، دار إيبيستيمي للنشر، لوبلين ٢٠٢١.

1. http://arabistyka.uw.edu.pl/historia
2. http://orient.uw.edu.pl/o-wydziale
3. https://pto.orient.uw.edu.pl